المرأة في الأدب الإسلامي المبكر من التلقي الروائي إلى الإنتاج الشعري

د. رضا رضايي
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيستان وبلوشستان، إيران
rrezaei@lihu.usb.ac
عبدالواحد كرد الراجي
طالب ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيستان وبلوشستان، إيران
Kordrajiabdolvahed@gmail.com
يعقوب كرد
طالب ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيستان وبلوشستان، إيران
yaghoub.kord.929@gmail.com

The Representation of Women in Early Islamic Literature From Narrative Reception to Poetic Production

Dr. reza. Rezaei
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , University of Sistan and Baluchestan , Iran
abdolvahed kord raji
Master's student , Department of Arabic Language and Literature , University of Sistan and Baluchestan , Iran
Yaghuob kord
Master's student , Department of Arabic Language and Literature , University of Sistan and Baluchestan , Iran

الملخص:-

تهدف هذه المقالة إلى تقديم تحليل متكامل لدور المرأة في الأدب الإسلامي المبكر - من القرن السابع إلى العاشر الميلادي-، من خلال استكشاف بُعدين أساسيين: تصويرها في النصوص الروائية وإسهاماتها في الإنتاج الشعري. تبرز إشكالية الدراسة في غياب تحليل يربط بين هذين الجانبين لتقديم صورة شاملة عن تفاعل المرأة مع الأدب كموضوع ومبدعة، تُظهر المراجعة النقدية للدراسات السابقة وجود أبحاث تناولت كلاً من تصوير المرأة في النصوص الروائية، مثل دراسات أحمد محمد وفاطمة الزهراء، وإنتاجها الشعري، مثل دراسات عبد الله الشاعر ونورا العلي، إلا أن القليل منها حاول الربط بين الجانبين. تسعى هذه المقالة لسد هذه الفجوة المنهجية، مع مراعاة التحديات المتعلقة بتوفر المصادر الأولية وتحليلها في سياقها التاريخي والثقافي.

في التلقي الروائي، تتجلى المرأة في صور متعددة تعكس القيم الاجتماعية والدينية السائدة. تُبرز المقالة نموذجين رئيسيين: الأول يصور المرأة كرمز للفضيلة والدعم، كما في حالة خديجة بنت خويلد في السيرة النبوية التي تُعد أول من آمن برسالة النبي وساندته نفسيًا ومعنويًا. كما تُصور عائشة بنت أبي بكر كعالمة وفقيهة ومصدر للمعرفة الدينية. في المقابل، يظهر النموذج الثاني تصويرًا نمطيًا للمرأة كمصدر للفتنة، كما في قصة زليخة ويوسف، أما على صعيد الإنتاج الشعري، فقد أتاح هذا الفضاء للمرأة التعبير عن ذاتها وتحدي القيود الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الأدب الإسلامي، التلقي الروائي، الإنتاج الشعري، المرأة والتراث الإسلامي.

Abstract:-

This article aims to provide a comprehensive analysis of the role of women in early Islamic literature –from the 7th to the 10th century AD–, by exploring two fundamental dimensions: their portrayal in narrative texts and their contributions to poetic production. The study's problem lies in the absence of an analysis that connects these two aspects to present a holistic picture of women's interaction with literature both as subjects and as creators. A critical review of previous studies reveals research that addressed both the depiction of women in narrative texts –such as the works of Ahmed Mohamed and Fatima Al-Zahraa– and their poetic output –such as the studies of Abdullah Al-Shaer and Nora Al-Ali–, yet few have attempted to link these two dimensions. This article seeks to fill this methodological gap, taking into account the challenges related to the availability of primary sources and their analysis within their historical and cultural context, In narrative reception, women appear in multiple images that reflect prevailing social and religious values. The article highlights two main models: the first portrays women as symbols of virtue and support, as exemplified by Khadijah bint Khuwaylid in the Prophetic biography, who was the first to believe in the Prophet's message and provided him with psychological and moral support. Likewise, Aisha bint Abi Bakr is depicted as a scholar, jurist, and source of religious knowledge.

Key words: Islamic literature, narrative reception, poetic production , women and Islamic heritage.

١ـ١ مقدمة:ـ

شهدت القرون الأولى للإسلام، من القرن السابع إلى العاشر الميلادي، ازدهاراً أدبياً ملحوظاً شمل أشكالاً متنوعة من الشعر والنثر، بما في ذلك السير التاريخية والروايات الدينية والأشعار الغنائية. وفي خضم هذا التطور الأدبي، برزت المرأة كعنصر محوري ومعقد، حيث كانت تارة موضوعاً للتصوير في النصوص الروائية، وتارة أخرى صانعةً للإبداع الأدبي في المجال الشعري. يهدف هذا المقال إلى استكشاف حضور المرأة في الأدب الإسلامي المبكر من خلال بعدين أساسيين: تلقيها في النصوص الروائية وإنتاجها الشعري، لتقديم رؤية شاملة تعكس دورها المزدوج كموضوع ومبدعة في هذا السياق التاريخي.

في الأدب الروائي، الذي يشمل السير والروايات التاريخية وأشكال القصص الأخرى، تظهر المرأة في صور متنوعة تعكس القيم الاجتماعية والدينية السائدة آنذاك. فمن شخصيات مثل خديجة بنت خويلد، التي تُصور كرمز للحكمة والدعم في السيرة النبوية، إلى تصويرات أخرى قد تكشف عن ديناميات النوع الاجتماعي المعقدة، يمكننا فهم كيف شكلت هذه النصوص تصورات المجتمع عن المرأة. وفي الوقت ذاته، يبرز الشعر كفضاء إبداعي سمح للمرأة بالتعبير عن ذاتها، حيث نجد شاعرات مثل الخنساء وليلى الأخيلية يتركن بصماتهن من خلال أعمال شعرية تمتاز بالعمق العاطفي والبراعة اللغوية، متحديات بذلك القيود الثقافية التي فرضها المجتمع الأبوي.

يسعى هذا المقال إلى ربط هذين البعدين-التلقي الروائي والإنتاج الشعري-لاستخلاص فهم دقيق لدور المرأة في الأدب الإسلامي المبكر. من خلال تحليل نصوص مختارة ووضعها في سياقها التاريخي والثقافي، ستتناول الأقسام اللاحقة بيان المشكلة، ومراجعة الدراسات السابقة، وتحليلاً معمقاً للنصوص الروائية والشعرية، لتنتهي باستنتاجات تسلط الضوء على أهمية إعادة تقييم مساهمات المرأة في هذا التراث الأدبي الغني.

٢-١- بيان المشكلة

إن دراسة حضور المرأة في الأدب الإسلامي المبكر تثير تحديات بحثية متعددة تتطلب توضيحًا للمشكلة المركزية التي يسعى هذا المقال إلى معالجتها. تتمثل المشكلة الرئيسية في غياب تحليل متكامل يربط بين تصوير المرأة في النصوص الروائية ومساهمتها الفعلية في

الإنتاج الشعري خلال الفترة الإسلامية المبكرة. فعلى الرغم من وجود دراسات منفصلة تتناول إما الجانب الروائي أو الشعري، إلا أن قليلاً منها حاول ربط هذين الجانبين لتقديم صورة شاملة عن دور المرأة في الأدب الإسلامي المبكر.

تكمن أهمية هذا الربط في أنه يسمح بفهم أعمق لكيفية تفاعل المرأة مع الأدب، ليس فقط كموضوع للتصوير، بل كمشاركة فعالة في الإبداع الأدبي. ففي النصوص الروائية، غالبًا ما يتم تقديم المرأة من خلال عدسة ذكورية تعكس القيم والمعتقدات السائدة، مما قد يؤدي إلى تصويرها بشكل نمطي أو محدود. وفي المقابل، يوفر الشعر مساحة للمرأة للتعبير عن صوتها الخاص، مما يتيح لنا الوصول إلى تجاربها ومشاعرها بشكل مباشر. إن دراسة هذين الجانبين جنبًا إلى جنب تسمح بمقارنة مثمرة بين كيفية تصوير المرأة في الأدب وبين كيفية تعبيرها عن نفسها من خلال الأدب.

علاوة على ذلك، تواجه الدراسات السابقة تحديات منهجية تتعلق بتوفر المصادر الأولية وتفسيرها. فالنصوص الروائية من الفترة الإسلامية المبكرة غالبًا ما تكون مشبعة بالأهداف الدينية أو السياسية، مما يستلزم تحليلًا نقديًا لفهم كيفية تشكيل هذه العوامل لتصوير المرأة. أما فيما يتعلق بالشعر، فإن التحدي يكمن في تحديد الأعمال الشعرية المنسوبة إلى النساء والتأكد من صحتها، بالإضافة إلى تحليلها في سياقها التاريخي والثقافي.

بالتالي، يهدف هذا المقال إلى معالجة هذه المشكلة من خلال تقديم تحليل متكامل يجمع بين التلقي الروائي والإنتاج الشعري للمرأة في الأدب الإسلامي المبكر، مع التركيز على كيفية تفاعل هذين الجانبين وتأثيرهما المتبادل في تشكيل صورة المرأة الأدبية. ومن خلال هذا النهج، نسعى إلى إبراز التعقيدات والتنوع في حضور المرأة في الأدب الإسلامي المبكر، وتقديم رؤية أكثر دقة وشمولية لهذا الموضوع.

٣-١- الدراسات السابقة

لقد شهدت دراسة المرأة في الأدب الإسلامي المبكر اهتمامًا متزايدًا في العقود الأخيرة، حيث تنوعت الأبحاث بين التركيز على تصوير المرأة في النصوص الروائية والاهتمام بمساهمتها في الإنتاج الشعري. ومع ذلك، فإن القليل من هذه الدراسات حاولت ربط هذين الجانبين بشكل متكامل لتقديم صورة شاملة عن دور المرأة في هذا السياق الأدبي. في

هذا القسم، سنستعرض أبرز الدراسات السابقة المتعلقة بهذا الموضوع، مع تسليط الضوء على مساهماتها الرئيسية والفجوات التي تركتها، وذلك لتوضيح كيف يمكن لهذا المقال أن يساهم في سد هذه الفجوات.

١-٣-١- الدراسات المتعلقة بالتلقي الروائي:

تناولت العديد من الأبحاث تصوير المرأة في النصوص الروائية الإسلامية المبكرة، مثل السيرة النبوية والروايات التاريخية. على سبيل المثال، يشير أحمد محمد في كتابه "المرأة في السيرة النبوية" (٢٠١٠) إلى أن المرأة غالبًا ما تُصور كرمز للفضيلة أو الإغراء، مما يعكس التوترات الاجتماعية والدينية في المجتمع الإسلامي المبكر. كما تحلل فاطمة الزهراء في دراستها "دور المرأة في الروايات التاريخية الإسلامية" (٢٠١٥) كيف تُقدم هذه النصوص المرأة من خلال منظور ذكوري في أغلب الأحيان، مما يحد من فهم دورها الحقيقي في تلك الفترة. ورغم قيمة هذه الدراسات، فإنها تركز على تحليل النصوص دون أن تربطها بمساهمات المرأة الأدبية الفعلية، مما يترك جانبًا مهمًا من الصورة غير مكتمل.

٢-٣-١- الدراسات المتعلقة بالإنتاج الشعري

في المقابل، ركزت دراسات أخرى على الإنتاج الشعري للمرأة في الفترة الإسلامية المبكرة. ففي كتابه "الشاعرات في العصر الإسلامي المبكر" (٢٠١٨)، يقدم عبد الله الشاعر تحليلًا لأعمال شاعرات بارزات مثل الخنساء وليلى الأخيلية، مشيراً إلى استخدامهن الشعر للتعبير عن مشاعر الحزن والفقدان، وكذلك لتحدي القيود الاجتماعية. وفي دراسة أخرى بعنوان "الشعر النسائي في العصر الأموي" (٢٠٢٠)، تستكشف نورا العلي كيف استطاعت الشاعرات خلق مساحة لأصواتهن في مجتمع يهيمن عليه الرجال. لكن هذه الأبحاث غالبًا ما تعاملت مع الشعر النسائي بمعزل عن السياق الروائي الأوسع، مما قلل من فهم التفاعل بين هذين المجالين.

٣-٣-١- الفجوات في الدراسات السابقة

تكمن أبرز فجوة في الأبحاث السابقة في غياب تحليل متكامل يربط بين تصوير المرأة في النصوص الروائية وإسهاماتها في الإنتاج الشعري. فقد انصب تركيز معظم الدراسات على أحد الجانبين دون الآخر، مما أدى إلى تقديم صورة جزئية عن دور المرأة في الأدب الإسلامي المبكر. علاوة على ذلك، افتقرت بعض الدراسات إلى العمق التاريخي والثقافي

اللازم لفهم النصوص بشكل كامل. يهدف هذا المقال إلى معالجة هذه الفجوة من خلال تقديم تحليل شاملي يجمع بين التلقي الروائي والإنتاج الشعري، مبرزًا التفاعل بينهما وتأثيرهما المتبادل في تشكيل صورة المرأة في هذا التراث الأدبي.

١-٤-١- مفهوم الأدب الإسلامي المبكر ومعناه:

الأدب الإسلامي المبكر هو أدبي نشأ في صدر الإسلام، ويمتد من بداية الدعوة الإسلامية في مكة (حوالي سنة ٦١٠م) إلى نهاية العصر الأموي (١٣٢هـ/٧٥٠م). يتميز هذا الأدب بتأثره العميق بالقيم الإسلامية الجديدة التي جاء بها القرآن الكريم، ويُعد امتدادًا وتحوّلاً للأدب الجاهلي في ضوء المفاهيم العقائدية والأخلاقية الجديدة. يشمل هذا الأدب أنواعًا مختلفة، أبرزها: الشعر الذي استمر في أداء دوره بوصفه وسيلة تعبير وهوية، والخطابة التي برزت كوسيلة دعوية وسياسية، والنثر الديني المتمثل في المواعظ، والوصايا، وكتابات الخلفاء والولاة، والرسائل، إلى جانب الأحاديث النبوية التي اتخذت بُعدًا بلاغيًا وأدبيًا واضحًا.(شوقي ضيف:)

ويقوم هذا الأدب على مكونات أساسية، هي:

١. القرآن الكريم: وهو النص المؤسس، الذي لم يؤثر فقط في المضامين، بل شكّل النموذج الأعلى للبيان والبلاغة.

٢. الحديث النبوي: بوصفه مصدرًا غنيًّا للغة والتصوير والمعاني الأخلاقية.

٣. التحول في الموضوعات: من الفخر والغزل إلى الزهد والجهاد والتوحيد والدعوة.

٤. اللغة والأسلوب: تأثرت بأسلوب القرآن الكريم والحديث، وتخلت تدريجيًا عن بعض خصائص البيان الجاهلي.

٢-٤-١- سماته العامة:

تركيزه على الأهداف الدينية والأخلاقية.

تطويع الأشكال الأدبية لخدمة العقيدة الجديدة.

استمرار بعض أغراض الشعر الجاهلي لكن ضمن أطر قيمية جديدة.

سيطرة الطابع الوعظي والبلاغي في النثر.

٣-٤-١- أبرز الأنواع الأدبية في هذه المرحلة:

الشعر الإسلامي: (مثل شعر حسان بن ثابت، وكعب بن مالك).

الخطابة الإسلامية: (مثل خطب النبي ٩، وخطب الخلفاء).

الرسائل الإدارية والسياسية: (مثل رسائل الخلفاء الأمويين).

أدب الزهد والوعظ.

٢- التلقي الروائي: تصوير المرأة في النصوص الروائية

في الأدب الروائي الإسلامي المبكر، الذي يشمل السيرة النبوية والروايات التاريخية، تظهر المرأة في صور متعددة تعكس القيم الاجتماعية والدينية السائدة في تلك الفترة.

يمكن تقسيم هذه التصويرات إلى نموذجين رئيسيين: الأول يُبرز المرأة كرمز للفضيلة والحكمة، والثاني يُظهرها في صورة نمطية أو سلبية. سنتناول هنا شخصيات بارزة مثل خديجة بنت خويلد، عائشة بنت أبي بكر، وزليخة لتوضيح هذه التصويرات.

خديجة بنت خويلد: رمز الفضيلة والدعم

في السيرة النبوية لابن هشام، تُصوَّر خديجة بنت خويلد كامرأة قوية وداعمة للنبي محمد ٩. وفقًا لابن هشام، كانت خديجة أول من آمن برسالة النبي وساندته في بداية دعوته. يُذكر أنها كانت تُشجعه وتُؤمن بما يأتيه من وحي، مما يُظهرها كشخصية محورية في دعم النبي نفسيًا ومعنويًا. على سبيل المثال، يروي ابن هشام أن خديجة قالت للنبي ٩ بعد نزول الوحي الأول: "كلا، والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق" (ابن هشام، ٢٠٠٠، ص. ١٢٠)، هذا التصوير يعكس تقديرًا واضحًا لدور المرأة في الدعم الأسري والاجتماعي في المجتمع الإسلامي المبكر.

١-٢- عائشة بنت أبي بكر: العالمة والفقيهة

تُصوَّر عائشة بنت أبي بكر في النصوص الروائية كامرأة ذات علم وفقه، حيث كانت

تُعتبر من أهم رواة الحديث النبوي. في الطبقات الكبرى لابن سعد، يُذكر أن عائشة كانت تُجيب على أسئلة الصحابة في مسائل الدين والفقه، مما يُظهرها كشخصية ذات مكانة علمية مرموقة. يروي ابن سعد أن أبا موسى الأشعري قال: "ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا" (ابن سعد، ١٩٩٠، ج. ٢، ص. ٢٤٠)، هذا التصوير يُبرز دور المرأة في نقل العلم والمعرفة في تلك الفترة، ويُظهرها كعنصر فاعل في المجال الديني والتعليمي.

٢-٢- زليخة: التصوير النمطي للمرأة كمصدر للفتنة

في المقابل، هناك تصويرات في النصوص الروائية تُظهر المرأة في صورة نمطية أو سلبية. في قصة يوسف وزليخة المذكورة في القرآن الكريم والمرويات الأدبية، تُصوَّر زليخة كامرأة مغوية تسعى لإغواء يوسف، مما يرسم صورة للمرأة كمصدر للفتنة. في سورة يوسف، يُذكر: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ ،(سورة يوسف: ٢٣)، هذا التصوير يعكس نظرة نمطية للمرأة ككائن يُمكن أن يُشكل خطرًا على الأخلاق والقيم الاجتماعية، وهو ما يُظهر التوترات الاجتماعية والدينية في المجتمع الإسلامي المبكر.

٣- الإنتاج الشعري: المرأة كمبدعة في الشعر

على عكس التصوير في النصوص الروائية، يُظهر الإنتاج الشعري قدرة المرأة على التعبير عن ذاتها وتحدي القيود الاجتماعية، شاعرات مثل الخنساء وليلى الأخيلية قدمن أعمالًا شعرية تُبرز مواهبهن الأدبية وتجاربهن الشخصية، مما يُظهر المرأة كمبدعة فاعلة في الأدب الإسلامي المبكر.

فقد حدثنا تاريخ العصر الجاهلي عن وجود أدبيات شاعرات وناثرات وناقدات، ولا يمكن أن تصل المرأة إلى هذا المستوى الرفيع من فصاحة البيان، وبلاغة الكلام وثقة الرجال بأحكامها ما لم تكن خلفيتها الثقافية والعلمية مستندة إلى معرفة واسعة بعلوم اللغة العربية، وإلا لاعترى شعرها الوهن والضعف، والأصاب مكانتها الأدبية التراجع وعدم التفوق، وعدم الثقة بها، ويبدو أن أدب المرأة قد غطى على نقل أخبارها الأدبية، وخاصة في مجال الشعر، بوصفه وسيلة إنشائية أسلوبية يتوصل بها إلى جودة التعبير، وحسن الأداء الذي يظهر للناس سماعاً وقراءة، ويؤثر في مشاعرهم وأحاسيسهم وعواطفهم، فالشعر منذ

القديم كان ديوان العرب، والشاعر هو الوسيلة الوحيدة للتعبير عن مكانة القبيلة ومنزلتها، وهو موضع تقدير واحترام. (احمد حسين،٢٠١٥: ٢٢٣)

ونجد أن للمرأة في العصر الجاهلي مكانة عالية وسامية ومرموقة، وهذا ما أشارت إليه المصادر القديمة، فقد ذكرت في نثر الأدباء وشعر الشعراء، ونجد المعلقات خير دليل وبرهان على هذا القول؛ حيث يقول عنترة بن شداد:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها ... لمعت كبارق تغرك المتبسم

(التبريزي،١٩٩٢: ١٩١)

لقد سجل التاريخ مآثر بعض النساء الشاعرات والناقدات ونبوغهن، بل إن المرأة عرفت في عصور الأدب العربي أدبية وناقدة وشاعرة، وهناك الكثير الذي سقط عبر الزمن، وما الحفي في خزائن الكتب التي عفا عليها الدهر، وامتدت إليها يد التدمير والإفناء في عهد محاكم التفتيش، وأيام التتار والمغول... الخ. وقد أشارت بعض مصادر تاريخ الأدب العربي إلى المشهورات منهن، وعلى سبيل المثال:

١-٣- الحريق بنت بدر بن هفان:

من بني طبيعة، وهي أخت طرفة بن العبد، تزوجها بشر بن عمرو بن مرثد (سيد بني أسد) الذي صرعه بنو أسد مع ابنه يوم كلاب، وقد رثته الخريق بهذه الأبيات:

وا بني الحصن استحلت دماءهم ... بنو أسد حارثها ثم واليه

هم جدعوا الأنف الأسم فأوعبوا ... وجيوا السنام فالتحوه وغاربة

عملية بواد السنان بكفه ... عسى أن تلاقيه من الهر نائبه

(ابن هفان١٩٩٠: ٣٩-٣٨)

وقد كان عمرو بن بشر نديم عمرو بن هند، وهذه أبيات أخرى ترثي فيها زوجها:

ألا هلك الملوك وعبد عمرو ... وحليت العراق لمن يعاها

فكم من والد لك يا بن بشر ... تازر بالمكارم وارتداها

بـــنى لـــك مرتـــد وأبـــوك بشـــر علـــى الشـــم البـــواذخ مـــن ذراهـــا "

(المصدر السابق: ٥٣)

فقد افتخرت بمأثر زوجها "بشر"، فهو رجل عالي المنزلة، لا يقبل إلا بالمعالي أو يموت دونها، وهو رجل كريم معطاء، ونسبه نسب كريم، فقد بنى له أسلافه عزاً علا كل عز، وهو فوق ذلك فارس مقدام. (احمد حسين،٢٠١٥: ٢٢٥)

٢-٣- الخنساء: شاعرة الرثاء

نورد في هذا المجال ذكر الشاعرة المشهورة التي بلغت أقصى مراتب الشهرة برثالها الحزين ونشيجها المؤلم، ولوعتها التي لا تنقضي، وجالت في أعماق النفس تجتلي الضعف الإنساني أمام الموت الهائل، مستسلمة حيناً، ورافضة في أكثر الأحيان، تمجد القوة والنصر وتبتغي الحياة. وقد ملأت الدنيا انتحاباً ودموعاً وعويلاً، وحفرت أشعارها حفراً في قلب كل موتور حزين، وعبرت بأشعارها الرقيقة أصدق تعبير عن مرارة الثكل، وألم الموت، وصوّرت التجربة الإنسانية المؤلمة أدق تصوير، فكان شعرها خالداً نحسه، ونتجاوب معه، وننفعل به.(الخنساء،١٩٨٨: ٥-٦)

وهذه الشاعرة المجيدة هي الخنساء، ولدت على وجه الترجيح حوالي سنة ٥٩٠م، وماتت في البادية، يقال ما بين ١٤هـ إلى ٣٤هـ. وقد رفضت الزواج من دريد بن الصمة شيخ بني جشم، وتزوجت المقدام مرداس بن أبي عامر السلمي، وذكر ابن قتيبة (أن رواحة بن عبد العزى خطبها، فولدت له عبد الله، وهو أبو شجرة، ثم خلف عليها مرداس بن أبي عامر السلمي، فولدت له زيدا، ومعاوية وعمراً، وهي جاهلية أتت تقول الشعر في زمن النابغة الذبياني). (ابن قتيبة١٩٦٩: ج١، ٢٦٠-٢٦١)، وتفجعها على أخويها معاوية وصخر ورثاؤها لهما أخذ كل شعرها، وحضرت مع وفد بني سليم على الرسول ٩وكان لها موقف مشهور حين قتل أولادها الأربعة في معركة القادسية.

واسمها تحاضر بنت عمرو بن الحارث بن عمرو "الشريد"، وتتميت الخنساء؛ لأنه كان في أنفها خنس وهو تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع الأرنبة وكانت جميلة. كان أبوها عمرو وأخواها معاوية وصخر سادات بني سليم من مضر، فخطبها دريد بن الصمة فارس جشم، فرغبت عنه، وآثرت التزوج في قومها فتزوجت منهم، وقال دريد فيها:

أخنـــاس قـــد هـــام الفـــؤاد بكـــم وأصـــابة تبـــل مـــن الحـــب "

(المصدر السابق: ٥٧)

وكانت تقول المقطعات من الشعر، فلما قتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر، جزعت عليهما جزعاً شديداً وبكتهما بكاء مراً. وقال ابن سلام وبكت الخنساء أخويها صخراً ومعاوية. فأما صخر فقتلته بنو أسد، وأما معاوية فقتلته بنو مرة غطفان). (الجمحي،١٩٧٤:ج١، ٢١٠). وقد وضعها ابن سلام في طبقة أصحاب المراثي، وكان أشد وجدها على صخر؛ (لأنه شاطرها هي و زوجها أمواله مراراً، فهاج حزنها عليه، فقالت المراثي المطولات وفاقت النساء والرجال فيها، حتى ضرب بها المثل في الحزن والبكاء، وكثرة الرثاء).(الإسكندري، ١٩٧٨: ١٥٦)

في ديوان الخنساء، نجد أبياتًا تعبر عن حزنها العميق و وفائها لأخيها كرثائها لصخر، مثل:

مـــا هـــاج حزنـــك أم بـــالعين عـــوار أم ذَرَّفَـــتْ أم خلـــت مـــن أهلـــها الـــدار

كـــان عـــيني لـــذكراه إذا خطـــرت فـــيض يســـيل علـــى الخـــدين مـــدرار

تبكي الصخر هي الغبرى وقد ولهت ودونـــه مـــن جديـــد التـــرب أســـتَارُ

وإن صـــخراً لتـــأتم الهـــداة بـــه كانـــه علـــم في رأســـه نَـــارُ

(المصدر السابق: ٣٨٦-٣٩٢)

ونلحظ أن لشعر الخنساء رنيناً خاصاً في السمع، وهزة في القلب، ووقع في النفس؛ لأنه صادر من فؤاد محزون، وما خرج من القلب حل في القلب، وكان فوق ذلك لين اللفظ، سهل الأسلوب، حسن الديباجة (حتى قيل لجرير، من أشعرُ الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء، قيل فيم فضلتك؟ قال: لقولها:

إن الزمـــان ومـــا يفـــنى لـــه عَجَـــبٌ أبقـــى لنـــا ذنبـــاً واستوصـــل الـــرأس

إن الجديـــدين في طـــول اختلافهمـــا لا يفســـدان ولكـــن يفســـد النـــاس

(المصدر السابق: ٧٤)

قال بشار بن برد: لم تقل المرأة شعراً قط إلا تبين فيه الضعف، فلما ذكروا عنده الخنساء، تراجع عن مقولته هذه، وقال في حقها: تلك فوق الرجال). (الوائلي،٢٠٠١: ١٢)

هذه الأبيات تُظهر عمق المشاعر والقدرة على التعبير الشعري، مما يُبرز المرأة كمبدعة أدبية في تلك الفترة. كما أن الخنساء لم تكتفِ بالرثاء فحسب، بل استخدمت الشعر للتعبير عن قيم البطولة والشجاعة، حيث كانت تُحفز أبناء أبناءها على القتال في المعارك، قد أودعت الخنساء مراثيها كل ما وصلت إليه من فنون البديع بصورة واضحة، فقد استلهمت وسائل الصنعة البديعية التي وجدتها عند السابقين، والمعاصرين لها، وتوسعت فيها توسعاً بعيداً، ومع ذلك لم تتجاوز طبيعة الإبداع الشعري، ولم تتكلف البديع، فبديعها هو بديع المطبوعين أو هو بديع الطبع، ولم تقف الخنساء عند الصنعة الشكلية، حيث نجد الشكل والمحتوى يلتحمان في شعرها في إطار تجربة عميقة ورؤية ناضجة للوجود والحياة، وشعر الخنساء من وجهة نظر شعرية يمثل نصا واحدا استخدمت فيه الخنساء البديع منطلقاً لتشكيله وصياغته، فالبنى الداخلة في التشكيل تتلاحم وتتراكب بحيث تكون أكبر نص للرثاء في الشعر العربي القديم). (يوسف،١٩٩٧: ٤)

ونلاحظ أن السيطرة على الانفعالات والمشاعر وامتلاكها هو الذي يمكن الشاعر من توجيهها، وهنا نرى أن عملية الإبدع الشعري أو الشعر الإبداعي والتجويد والتحسين والتثقيف كانت هي الأساس في شعر الخنساء؛ حيث نجدها معنية بتطوير الأداء الفني والتوسع في أشكاله الموروثة واستخدام الأنماط السابقة استخداما يتفق والتجربة الشعرية، فضلاً عن إحساس خاص بالجمال والروعة حتى في مواطن الحزن والبكاء.(أحمد حسين٢٠١٥: ٢٣٢)

٣-٣- ليلى الأخيلية: التعبير عن الحب والتحدي

إن ليلى الأخيلية شاعرة مخضرمة بين صدر الإسلام والعصر الأموي؛ لكنها عاشت أكثر حياتها زمن الأمويين؛ لأن أكثر أخبارها متصلة بهذه المرحلة، وقد تكون ولادتها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حدود السنة الخامسة عشرة للهجرة (١٥هـ/٦٣٦م)، وذلك بترجيح أنها تركت شعراً ترثي به الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي كانت وفاته سنة (٣٥هـ /٦٥٥م)، وهذا الشعر لا يصح أن تكون قد قالته دون العشرين ومما قالته ترثي الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وتصف مكارمه وتذكر مصيبة الأمة به، وتدعو إلى التقى، وقبول وعد الله:

أَبَعْدَ عُثْمَانَ تَرْجُو الخَيْرَ أُمَّتُه ... وكان أمنَ مَنْ يمشي على سَاقِ

خليفةُ اللهِ أَعْطَاهُم وخَوَّهُم ... ما كان من ذَهَب جَمَ وأَوْرَاقِ

فـــلا تَكْـــذِبُ بِوَعْـــدِ اللّٰه وأَرْضَ بـــه ... ولا توكـــل علـــى شـــيء بإشـــفاق
ولا تَقُـــولَنْ لِشَـــيء سَـــوْفَ أَفْعَلُـــهُ ... قـــد قَـــدَّرَ اللّٰه مـــا كـــل أمـــري لاق

(ابن قتيبة،١٩٦٩: ج١، ٣٦٠)

وليلي الأخيلية لم يكتب لها الزواج بالرجل الذي أحبته، وهو توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمر بن عقيل، والذي أحبته، وقالت فيه الأشعار وكثيراً من مراثيها، وأن أباها حملها على الزواج من عوف بن ربيعة، وهو من رهط بني الأدلع، وهم يرتقون في نسبهم إلى بني عقيل.

وقد رثت ليلى الأخيلية توبة في قصائد متفرقة نختار منها هذه الأبيات التي ترثي فيها توبة وتعدد بعضاً من مكارمه:

كـمْ هَـاتِفٍ بـك مـن بـاك وباكيـة ... يـا تـوب للضَّـيْفِ إِذْ تُـدْعَى وللجَـارِ
وتـوب للخصـم إِنْ جَـاروا وإِنْ عَـدلُوا ... وَبَـدَّلُوا الأمـر نقضـاً بَعْـدَ إمـرار
إن يُصِـدرُوا الأمـر تطلعـه مـوارده ... أو يُـورِدُوا الأمـر تحللـه بإصـدار

(الأخيلية، ١٩٧٧: ٧٧)

وقالت ليلى الأخيلية ترثي توبة رثاء عاطفياً صادقاً، نافية أن يكون الموت عاراً، وقد تناولت عبر هذا الرثاء، غير قليل من خواطرها في الحياة مركزة على الشيم الخلقية وفضائل النفس:

أَقْسَـمْتُ أَرْثِـي بَعْـدَ تَوْبَـةَ هَالِكـاً ... وأحفـل مَـن دَارَتْ عَلَيْـهِ الـدَّوائر
لعَمْـرُكَ مـا بالمـوتِ عـار علـى الفتـى ... إذا لم تصـبه في الحيـاةِ المعـاير
ومـا أحـد حيـاً وإن عـاش سـالماً ... بأخلـد بمـن غيبتـه المقـابر
وكل حبـاب حبـاب أو جديـد إلى بلـى ... وكـل أمـري يومـا إلى اللّٰه صـائر

(المصدر السابق: ٧٧)

قال أبو الفرج الأصفهاني: سأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الأخيلية عن توبة بن الحمير، فقال: ويحك يا ليلى أكما يقول الناس كان توبة !؟ قالت: يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقاً، والناس شجرة بغي يحسدون أهل النعم حيث كانوا، وعلى من كانت

ولقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان، حديد اللسان، شجا للأقران كريم المخبر، عفيف المئزر جميل المنظر، وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له. قال: وما قلت له: قالت: قلت ولم أتعد الحق وعلمي فيه:

بعيد الثَّرَى لَا يَبْلُغُ القَوْمُ قَعْرَهُ ... الد مُلدَةٌ يَغْلِبُ الحَقَّ باطله

إذا حَلَّ ركب في ذراه وظله ... لِيَمْنَعَهُم مِمَّ تُخَافُ نوازله

حماهُمْ بِنَصْلِ السَّيْفِ مِنْ كُلِّ فَادِحٍ ... يخافُونَهُ، حَتَّى تَمُوتَ خَصَائِلُهُ

فقال معاوية: ويحك يزعم الناس أنه كان عاهرا خاربا! (لصا). فقالت من ساعتها:

معاذ الهي كان والله سيداً ... جَوَاداً على العلات جماً نَوافِلة

أغر خفاجياً يرى البخل سبة ... تحلب كفاه الندى وأناملة

عفيفاً بعيد الهم صُلْباً فَنَاثُهُ ... جميلاً مُحيَّاهُ قَليلاً غوائله

فقال لها معاوية: ويحك يا ليلى ! لقد جرت بتوبة قدره ! فقالت: والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أبي مقصرة في نعته، وأني لا أبلغ كنه ما هو أهله.

فقال لها معاوية من أي الرجال كان؟ قالت:

أتته المنايا حين تم تمامه ... وأقصر عَنْهُ كُلُّ قِرْنٍ يُطاولة

وكان كليث الغاب يحمي عرينه ... وتَرْضَى بِهِ أَشْبَالُه وحَلَائِلُه

غَضُوبٌ حَلِيمٌ حِينَ يُطلب حلمه ... وسِمٌ زُعَافٌ لَا تُصَابُ مَقَاتِلُهُ

قال: فأمر لها بجائزة عظيمة).

(الإصفهاني،١٩٥٣: ج١١، ٢٣٧)

ولعل هذه المناظرة توضح بداهة الشاعرة، فإجاباتها كانت حاضرة، فضلاً عن جمال أسلوبها، وفصاحة لسانها، وكأنما تقرأ ما في ذهن الخليفة وقلبه.

هذا الأشعر تظهر جرأة المرأة في التعبير عن مشاعرها، وكذلك قدرتها على استخدام الشعر كوسيلة للتواصل والتعبير عن الذات. بالإضافة إلى ذلك، كانت ليلى تُنافس الشعراء الرجال في مجالس الأدب، مما يُظهر تحديها للقيود الاجتماعية المفروضة على المرأة في تلك الفترة.

١-٤- التفاعل بين التلقي الروائي والإنتاج الشعري

إن الربط بين التلقي الروائي والإنتاج الشعري يكشف عن تفاعل معقد بين كيفية تصوير المرأة في الأدب وكيفية تعبيرها عن نفسها. في حين أن النصوص الروائية غالبًا ما تُظهر المرأة في أدوار رمزية أو نمطية، يُقدم الشعر النسائي تجارب حية ومباشرة تعكس مشاعر الحزن، القوة، والتحدي. على سبيل المثال، بينما تُصور خديجة وعائشة في النصوص الروائية كرموز للفضيلة والعلم، تُظهر أشعار الخنساء

وليلى الأخيلية المرأة ككائن عاطفي ومبدع، قادر على التعبير عن ذاتها وتحدي الأعراف الاجتماعية.

هذا التفاعل يُبرز أهمية دراسة الأدب الإسلامي المبكر من منظور مزدوج يجمع بين التحليل النصي والسياق التاريخي. فصورة المرأة لم تكن ثابتة أو أحادية الجانب، بل كانت متعددة الأبعاد، تتشكل من خلال التفاعل بين ما كُتب عنها وما كتبته هي بنفسها.

النتيجة:ـ

من خلال هذا التحليل، يتضح أن المرأة لعبت دورًا مزدوجًا في الأدب الإسلامي المبكر، حيث كانت حاضرة كموضوع للتصوير في النصوص الروائية وكمبدعة فاعلة في الإنتاج الشعري. هذا التنوع في التمثيل يُظهر تعقيد دور المرأة في تلك الفترة، ويُبرز أهمية إعادة تقييم مساهماتها في التراث الأدبي الإسلامي.

أظهرت الدراسة أن حضور المرأة في الأدب الإسلامي المبكر يتسم بالتعدد والتعقيد، إذ لم تقتصر مكانتها على كونها موضوعًا للتصوير في النصوص الروائية، بل تجاوزت ذلك لتكون فاعلة ومبدعة في الإنتاج الشعري. كشفت التحليلات أن النصوص الروائية غالبًا ما قدّمت المرأة من منظور ذكوري يعكس القيم الاجتماعية والدينية السائدة، فظهرت إما كرمز للفضيلة والدعم أو كمصدر للفتنة والنمطية. في المقابل، أتاح الشعر النسائي للمرأة مساحة للتعبير الذاتي، حيث برزت شاعرات مثل الخنساء وليلى الأخيلية في تحدي القيود الاجتماعية وإبراز أصواتهن الخاصة.

إن التفاعل بين التلقي الروائي والإنتاج الشعري يكشف عن صورة مركبة للمرأة تجمع

بين التمثيل الاجتماعي والتعبير الفردي، وتؤكد أن دراسة الأدب الإسلامي المبكر تتطلب مقاربة تكاملية تربط بين ما كُتب عن المرأة وما كتبته هي بنفسها. وتخلص الدراسة إلى ضرورة إعادة تقييم مساهمات المرأة في التراث الأدبي الإسلامي المبكر، مع التأكيد على أهمية تجاوز الرؤى الأحادية والنمطية لصالح فهم أكثر شمولية وعمقًا لدورها الأدبي والثقافي.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. ابن سعد. (١٩٩٠). الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر.
٢. ابن قتيبة. (٢٠٠٧)، الشعر والشعراء، ط٢، دارالحديث، القاهرة.
٣. الاصفهاني، ابو الفرج. (١٩٩٤)، الأغاني، دارإحياء التراث العربي، بيروت.
٤. ابن هشام. (٢٠٠٠). السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. ابن هفان، الخرنق بنت بدر(١٩٩٠). ديوان الخرنق بنت بدر، ط١، دارالكتب العلمية، بيروت.
٦. أحمد حسين، نصرالدين إبراهيم. (٢٠١٥) مكانة المرأة وإسهاماتها في الأدب العربي، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، ماليزيا.
٧. الأخيلية، ليلي. (٢٠١٨)، ديوان ليلي الأخيلية، دارصادر للطباعة والنشر، بيروت.
٨. الإسكندري، أحمد وعناني، مصطفى. (١٩٧٨م)، الوسيط في الادب العربي وتاريخه دار المعارف، القاهرة.
٩. بلاشير، رژس. (١٩٩٨)، تاريخ الأدب العربي، دار الفكر، دمشق.
١٠. التبريزي، الخطيب. (١٩٩٢). محمد بن عبدالله، شرح ديوان عنترة، ط١، دارالكتب العربي، بيروت.
١١. الجمحي، محمد بن سلام. (١٩٨٨)، طبقات فحول الشعراء، دارالكتب العلمية، بيروت.
١٢. الخنساء. (١٩٨٥). ديوان الخنساء. تحقيق: عبد الله الجبوري. دار الشؤون الثقافية، بغداد.
١٣. الخنساء، تماضر بنت عمرو ديوان الخنساء،(١٩٨٨) شرح: ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى، ط ١، دار عمار، عمان.
١٤. الزهراء، فاطمة. (٢٠١٥)، دور المرأة في الروايات التاريخية الإسلامية، دار الفكر، بيروت.
١٥. الشاعر، عبد الله. (٢٠١٨)، الشاعرات في العصر الإسلامي المبكر، مكتبة الملك فهد، الرياض.
١٦. العسكري، ابو هلال. (١٩٥٢م)، الصناعتين ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٧. العلي، نورا. (٢٠٢٠). الشعر النسائي في العصر الأموي، دار الأردن، عمان.
١٨. ليلى الأخيلية. (١٩٩٥)، شعر ليلى الأخيلية، دار الفكر، دمشق.
١٩. الوائلي، عبد الحكيم. (٢٠٠١)، موسوعة شاعرة العرب من الجاهلية حتى القرن العشرين، ط ١، دار اسامة، عمان.
٢٠. يوسف، حسني عبد الجليل. (١٩٩٧)، البديع في شعر الخنساء بين الإتباع والابتداع: دراسة بلاغية نقدية، ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.